(اسرار الطهارة)

الادناس والرذائل والاثام أشد فى الحجب من الله من الاخباث الظاهرية ومن القاذورات والكثافات المعدية !!

قبل العبادة يجب الطهارة ـ طهارة القلب والنفس من المشهيات والمحظورات الشرعية..

من اداب القيام للصلاة هى التخلي قبلها... وفى التخلي: أن الانسان يفرغ نفسه من الكثافات والقاذورات ليكون مستريح النفس عندما يقف فى خدمة المولى سبحانه وتعالى ـ يقول الامام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)

أنما سمى المستراح مستراحا لأن النفس تستريح فيه وتسكن باخراج القاذورات والكثافات

وينبغى للعاقل أن يعتبر فى حين التخلى بان مصير لذات الدنيا ومصير لذائذ الاطعمة هو هذه النتيجة، فهو لا يتخلى فقط من الكثافات القذرة التى فى داخل معدته وانما أيضا يتخلى من الاهم من هذه القاذورات الخبيثة يتخلى من الادناس يخلى قلبه عن الشهوات المحرمة يخلى جوارحه عن اكتساب الاثام التى يزاولها بها ـ فان الادناس وهى الرذائل والاثام أشد فى الحجب من الله سبحانه وتعالى من الاخباث الظاهرية ومن القاذورات والكثافات المعدية.

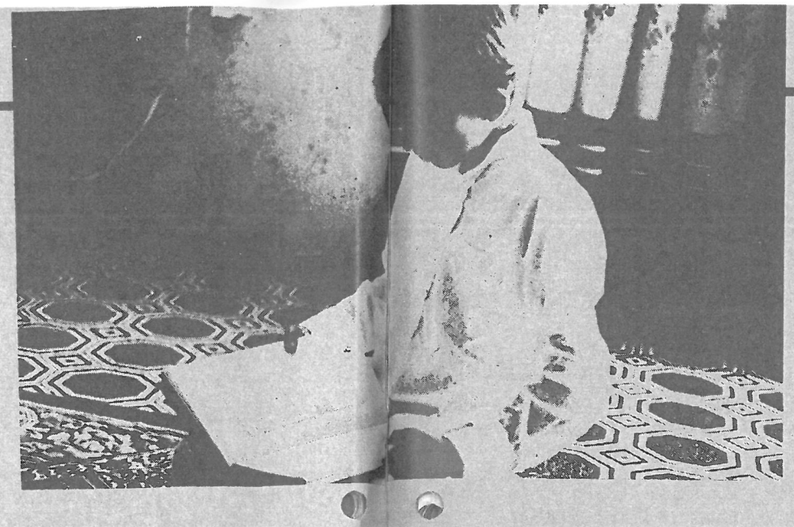

ولذلك لو تضيق وقت الصلاه بحيث لا يتسع لازالة النجاسة الخبيثة ولم يجد ساتراً اخر ظاهريا يستر بشرته الظاهرية جاز له الصلاة فى تلك الثياب المتنجسة ولكن اذا تنجس القلب بما يوجب الاعراض عن الله سبحانه وتعالى وتنجست الجوارح بالاثام المكتسبة عن طريقها فى الحقيقة لا يمكنه ان يقف لخدمة الله سبحانه وتعالى وهو بتلك النجاسات القلبية او القالبية او فى الحقيقة الادناس ولذلك لابد له من تطهيرها بنية التوبه قبل الدخول فى العباده حتى تكون تلك العبادة كفارة لما مر من الذنوب وحتى تكون تلك العبادة كفارة لما ارتكب من الاثام والمنهيات والمحظورات الشرعية فلو وقف فى صلاته ولم ينو التوبة مصرا على معاودة الاثام التى كان يرتكبها قبل تلك الصلاه لا تكون الصلاة له كفارة ومزيلة ـ

الدرس الخامس عشر :

لفضيلة الشيخ سليمان المدنى

فيقول النبي (ص) (الصلاة كفارة لما قبلها من الصغائر) شريطة عدم الاصرار عليها شريطة الندم على فعلها فالعاقل فى الحقيقة يعتبر فى حال التخلي الى امرين :

الاول: ان نتيجة الشهوات والرغبات الدنيوية هى هذه القاذورات والكثافات فهو يحاول التخلى عن الاصرار والحرص والشح فى طلبها واكتنازها... وايضا انه كما يحتاج الى ان يجعل نفسه ساكنه مطمئنة مستريحة باخراج هذه الكثافات والقاذورات كذلك فهو فى حاجة الى ان يجعل قلبه مطمئنا بالله سبحانه وتعالى ويجعل نفسه ساكنة لله سبحانه وتعالى عن طريق تخلية القلب عن رذائل الاخلاق والعادات والشهوات وتخلية الجوارح عن اكتساب الاثام وارتكاب المحظورات والمنهيات.

فاذن حقيقة اداب الخلوة لا تكمن فقط فى اراحه النفس من هذا الثقل الذى يتركه الانسان فى موضع التغور وانما تكمن ايضا فى الاعتبار فى الدنيا ونتيجتها وفى تطهير القلب والجوارح وكما انه من اداب الخلوه ان يدخل الى محل ساتر لا يراه احد وهو على تلك الحال ينبغى له ان يعتبر ايضا ان لا يشهد خلق الله على نفسه حين معصيته ان لا يتجاهر بالمعاصى فان قذارة المعصية وكثافتها ودناءتها اشد من قذارة ما يخرج منه فى بيت التغور وكما انه لايحب ان يراه احد وهو فى بيت التغور فاذن يحرص على ان لا يراه احد لا (ملك) ولا غير (ملك) وهو يعصى الله سبحانه وتعالى ويرتكب المنهيات.

وطبعا حتى لو استتر عن اعين الجن واعين الانس لكن اعين الملائكة مالم يستره الله سبحانه وتعالى عنهم لا يتستر لانهم رقباء عليه ـ كيف يستطيع ان يتستر ؟

نعم يتستر بطريقة واحدة هى ترك المعصية والاثم فاذن العبرة فى اداب الخلوة بهذا وايضا من مستحبات القيام للعبادة السواك فى الحديث عن النبي (صلى عليه واله) (صلاة بعد سواك خير من خمس وسبعين صلاة بدونه) وفى حديث اخر يقول: (لو لا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاه) وفى رواية ثالثة عنه (ص) (افواهكم مجارى القران فطهروها) ولذلك ورد فى السواك انه مطهره للفم ومرضاة للرب.

اذا نظرنا الى هذه الروايات فلا بد ايضاً حتى نعرف المعنى الحقيقى او سر هذا الاستحباب المؤكد فى السنة النبوية للسواك لابد من النظر الى تاثير السواك الظاهرى حتى نأخذ منه المثال على الناحية الخلقية التى هى الاهم والتى هي مدار البحث.. فنرى مثلا ان السواك خاصة فى زمانه (ص) وهو يستعمل من شجر (الاراك)لم تكن هذه الانواع من الفرشاه موجودة هو غصن لطيف من شجرة ذات ريحة زكية يمر به على الاسنان...

والانسان خلق من خلق الله سبحانه وتعالى وقد جعلها الله آلة واداة لمضغ الطعام واعانة المعدة على هضمه بل اصلاح المعدة بهضم الطعام عن طريق الاسنان... وهذه الاسنان بسبب ما يتخلف فيها من اثار المطاعم والمشارب ربما يصيبها (البخر والنتر) فيؤدى ذلك الى فساد الدماغ والمعدة ونتن الفم فتمر هذا العود على هذا السن الذى هو من جوهره صافية لازالة ما علق به من قاذورات واعادة تلك الجوهرة الى سابق عهدها صافية ـ جميلة خالية من القاذورات.

فى الحقيقة ان السواك اذا كان كذلك فينبغى ان يؤخذ مثلا وهو: ان القلب خلقه الله سبحانه وتعالى جوهرة كريمة غالية وخلقه الله صافيا تمام الصفاء نقيا تمام النقاء ولكن معدلته بسبب ما تحصل عليه من قذورات الحياة وخباثث الشهوات وغير ذلك من الاخلاق الرديئة يظلم فينبغى ايضا ان يصقل هذا القلب دائما بالتوبة وان يغسل بالانابة وان يمحص بالندم حتى يعود الى اصله جوهره ـ عالية ـ صافية تنطبع عليها الانوار الإلهية فالسواك على هذا انما هو مثال لما يراد احداثه فى القلب ولا شك ان اتباع السنة المؤكدة الظاهرية فيه من الفوائد مالا تحصى ولكن الاشد تاكيدا هو استعمال الفرض الشرعى فى نية التوبة دائما عند كل هم بمعصية فضلا عن ارتكاب المعصية وصقل ذلك القلب حتى لا تبقى عليه بقايا الذنوب واثار الاثام فتجعله مظلما ـ كاتماً غير طابع للانوار وغير مكتسب لها فاذا صلى الانسان بعد ان يصقل قلبه بالتوبة وبعد ان يغسله بالانابة فلا شك ان اقباله على ربه يكون سببا لاقبال ربه عليه بخلاف من يقف للصلاه كما وصفه الله سبحانه وتعالى (لا يقومون للصلاة الا كسالى).

ففرق كبير بين ان يقبل الانسان على ربه وقد تذكر كل ذنوبه ونوى الاقلاع عنها وعدم العودة اليها نادما على مافرط منه متوجها الى الله سبحانه وتعالى فى مقام الخدمة بطلب العفو والمغفرة وان يتداركه الله (سبحانه وتعالى) برحمته او على الاقل انه اذا كان ما علق بقلبه لا يمكن ان ينصقل فى تلك الحالة عليه ان يكسر ذلك القلب العاتى بان يذكره ما سيناله فى الاخرة من عقاب وعذاب حتى يقف امام ربه منكسرا فقد ورد فى الحديث (انى عند القلوب المنكسرة) اى الخائفة الوجله من العذاب حتى لو لم تكن صافية كل الصفاء لكنها منكسرة متواضعة خاضعة لربها سبحانه وتعالى خائفة من عقابه وعذابه فان رحمة الله سبحانه وتعالى هى المطهر الحقيقى وهى المنظف الذى لا يوجد مصقلة اهم منها لقلوب الناس ولنفوسهم فاذا تداركه الله سبحانه وتعالى برحمته وفتح عين ذلك القلب المظلمة فاضت عليها الانوار واصبحت قادرة على اكتساب الحقائق الالهيه.

ولا شك ان الله سبحانه وتعالى جعل المطهر من جميع الاقذار ومن جميع الاخباث الظاهرية هو (الماء) يقول سبحانه وتعالى (هو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وانزل من السماء ماء طهورا) وهذا الماء لو فكرنا فيه لوجدناه قادرا على ازالة اى قذر يعلق بجسم الانسان او ثوبه دون ان يفقد طبيعته فهو يمازج كل الاشياء ولكنه يبقى على طبيعته الاصلية كذلك رحمة الله سبحانه وتعالى (هو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزل من السماء ماء طهورا) الجمع بين الرحمة وانزال الماء وان كان بسبب ان انزال الماء الطهور انما هو اثر من اثار رحمته لكن رحمته اوسع لا شك من هذا الاثر فهي تطهر القلوب اذا تدارك الله الانسان برحمته ووفقه للتوبه والانابة والعودة الى الخدمه.. والعودة الى طلب رضا (السيد) سبحانه وتعالى فلا شك ان الانسان تحصل له التوبة النصوح مالم يتب الله على العبد فان العبد لا يتوب ! لان المطرود من البيت كيف يمكنه الدخول الى البيت وجميع الابواب موجودة فاذا انفتحت له الابواب تمكن من دخول البيت وما لم تفتح له الابواب لا يتمكن من دخول البيت.. ورحمة الله سبحانه وتعالى هى المطهر الحقيقى لاثام العباد وهى المطهر الحقيقى لذنوبهم ومخالفاتهم ولما كانت رحمته اوسع من اى ذنب يتصوره البشر فينبغى ان المؤمن مهما كانت ذنوبه التى عصى الله بها .سبحانه وتعالى ان لا ييئس من رحمته بل عليه ان يطلب رحمته فاذا وقف فى صلاته وقف فى مناجاته وقف فى دعائه نادماً على ما فرط منه او منكسراً قلبه بسبب عصيانه تداركته الرحمة وفاضت عليه الالطاف وعندئذ تحصل له الطهارة الحقيقية من هذه الذنوب ويتوجه الى الله سبحانه وتعالى بقلب سليم... واعتبر بالوضوء فان الله سبحانه وتعالى امر فى الوضوء بغسل اجزاء معينة من الجسم ـ الوجه ـ اليدين ـ ثم امر بمسح الراس ومسح الرجلين ولم يأمر بغسل الجسم كله الا فى الغسل لان فى الحقيقة ان ما يظهر من المصلى حين وقوفه فى الصلاه فى الاعم الاغلب انما هو هذه الاجزاء (من جسمه يظهر هذه الاجزاء).. وهذه الاجزاء هى اهم الاطراف التى يزاول بها اموره الدنيوية.

الراس: فيه العينان والدماغ موضع التخيل والتصور والتعقل فيه العينان التى ينظر بهما الى ما حرمه الله وفيه الدماغ الذى يتصور ويتعقل هذه اللذائذ وهذه المشتهيات.

واليدان: بهما يحصل ما يحصل ويفعل هذه الافاعيل عن طريقهما فى الاعم/الاغلب (جميع مكتسبات الانسان تاتى من العينين والاذنين واللسان واليدين وحتى ما يصل الى البطن من حرام او شبهه او حتى ما يصل الى الفرج من حرام او شبهه تشارك فيه العينان وربما تشارك فيه الاذنان او اللسان بالاضافة الى اليدين وكذلك الرجلان يسعى بهما فى قضاء حوائجه ومنها ما هو محرم عليه او ما فيه شبهه عليه ولذلك امر الله سبحانه وتعالى فى الوضوء غسل هذه الاشياء التى اكثر ما يزاول بها من اموره الدنيوية هى هذه الاجزاء (هذه ايضا ينبغى ان تكون عبرة) وهو: انه عندما يغسل وجهه عليه اهم من وجهه الظاهرى ان يغسل وجه القلب الذى تشهى الحرام والذى طلب الحرام والذى رضى بالحرام وكذلك عليه ان يغسل يدى ارادته وعزمه اللذين حركا جوارحه الظاهرية للسعى فيما حرم عليه وفيما يكسبه اثما.

ولذلك نجد ان الله سبحانه وتعالى لما كانت شهوة (الوقاع) مثلا ينغمس فيها الانسان بكليته وتشارك فيها كل ذرة من ذرات جسمه اوجب عليه (الغسل) فاذا كان الانسان منغمسا فى الاثام يجب عليه ان يغتسل بالتوبة لا ان ينوى توبه خاصة من ذنب خاص وانما ينوى توبة عامة لانه فى الحقيقة يكون منغمسا فى الاثام اما اذا كان غير منغمس فى الاثام وانما منغمس فى إثم واحد فهو ينوى توبة خاصة تماما كالوضوء والغسل... والوضوء انما اكتفى فيه بذلك لأن المزاولات فيها من جهات مختلفة ولكن فى شهوة الوقاع لما كان الانغماس فيها بجميع اجزاء الجسم حتى قال النبى (صلى الله عليه واله) (تحت كل شعرة جنابة وجب الغسل) كذلك لو كان الانسان منغمسا فى الحرام او منغمسا فى المعصية ومنغمسا فى ما نهى الله سبحانه وتعالى عليه ان ينوى التوبة العامة لان هذا يكون كالغسل بالنسبة للظاهر... وايضا الوضوء لما كان يتكرر كل يوم خمس مرات اكتفى فيه بغسل هذه الاجزاء... ولانه فى الاعم الاغلب يأتى مما لا ارادة للعبد فيه ـ مثلا:

الريح: ليس بارادة الانسان اخراجه...

الغائط: التبول: ليس ارادياً للانسان..

لا يستطيع الا ان يتغوط ويتبول وان يخرج الريح وان ينام.. فاسباب الوضوء فى الحقيقة خارجة الا ماندر ان تكون ارادية يتعمدها الانسان والا فى الاعم/الاغلب هى تاثير غير ارادى بل هى تاثير اضطرارى بخلاف مثلا الوقاع فانه لا يحصل حتى بكره نفسه. لا يحصل الا بالارادة.. لا يحصل عن طريق الغريزة الطبيعية الدافعة وانما دائما وابدا يحتاج الى التشهى اولا ثم التصور ثم انبعاث العزم ثم وجود الارادة حتى تتحرك الاعضاء للعمل ولذلك لم يقبل فيه الا الغسل كذلك الذنوب (اللمم) الغيرة التى تحصل للانسان بصفة انه غير معصوم يكتفى فيها بالتوبه الخاصة ولكن الذنوب الكبيرة التى ينغمس فيها الانسان كلية هى تماما لا تحصل اليه لمجرد انه غير معصوم وانما بسبب وجود بعد بينه وبين خالقه سبحانه وتعالى فلذلك ينبغى فيها التوبة العامة.